الحديث الثالث والعشرون:
«أذكار وعبادات في طريق النجاة»

عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري (رضي) قال: قال رسول الله ﷺ: الطُهورُ شطر الايمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمدلله تملآن أو تملأ مابين السماء والارض، والصلاة نور، والصدقةُ برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجةٌ لك أو عليك، كلُ الناس يغدو فبائعٌ نفسه فمعتقها او موبقها» رواه مسلم.

٢ـ روايات والفاظ أخرى:

* في بعض نسخ مسلم: والصيام ضياء.
* وفي رواية اخرى: «اسباغ الوضوء شطر الايمان، والحمدلله تملأ الميزان والتسبيح والتكبير تملآن السماء والارض، والصلاة نور، والزكاة برهان والصبر ضياء، والقرآن حجة لك او عليك، كل الناس . . . .» ابن ماجه.
* وعند الترمذي كرواية مسلم، لكن بلفظ «الوضوء شطر الايمان»
* وفي رواية الامام احمد والترمذي: «التسبيح نصف الميزان، والحمد لله تملؤه والتكبير تملأ مابين السماء والارض، والصوم نصف الصبر، والطهور نصف الايمان»[1].
* وفي رواية للطبراني: الناس غاديان: فبائع نفسه فموبقها وقائد نفسه فمعتقها[2].

٣ ـ فائدة حديثية تتعلق بالسند:

درج المسلمون على تنزيه أحاديث البخاري ومسلم من الطعن في أسانيدها،

---

(١) الجامع ص ١٨٥. (٢) الجامع ص ١٩٣.

وهذا قد غدا من المسلمات التاريخية العلمية، ولكن هالة هذه العصمة لم تكن بدون تشويش، ولاسيما في عصور التطور العلمي وبشكل اخص في العصر الحديث، حيث أشير بين الحين والآخر الى بعض الثغرات التي تشكل خروجاً على المنهج الذي وضعه للتصنيف وجمع الحديث كل من الامامين الجليلين، البخاري ومسلم، ومن ذلك مثلاً هذه الاشارة من ابن رجب «رحمه الله» الى سند هذا الحديث، حيث اظهر وجود انقطاع في سنده، عند الراوي «عبدالرحيم بن غنم»، فَسنَد مسلم لم يذكر ابن غنم، وقد رجح الحفاظ الرواية التي تثبت ابن غنم في السند، واليك سند مسلم: يحيى بن أبي كثير أن زيد بن سلام حدثه ان سلاماً حدثه عن ابي مالك الاشعري، وقد اختلف في سماع يحيى من زيد، فأنكره يحيى بن معين، وأثبته أحمد، ولكن الرواية الاخرى عند النسائي وابن ماجه وهي: معاوية بن سلام عن اخيه زيد بن سلام عن جده ابي سلام عن عبدالرحمن بن غنم عن ابي مالك، قال: ويقوي هذه الرواية: انه قد روي عنه من وجه آخر[1]

* ولما أخذ في شرح الحديث، وأتى على قوله ﷺ في رواية مسلم: سبحان الله والحمد لله تملأ او تملآن ما بين السماء والارض، قال: شك الراوي في الذي يملأ: هل هو الكلمتان او احداهما؟ ثم ذكر رواية النسائي وابن ماجه: التسبيح والتكبير ملء السماء والارض، وقال: هذه الرواية أسند، أي من رواية مسلم[2].

٤ ـ أهميته:

* قال النووي: هذا حديث عظيم، وهو اصل من أصول الاسلام، وقد اشتمل على مهمات من قواعد الاسلام.
* لقد وفق النووي احسن توفيق في اختياره لهذا الحديث الجامع، فهو جامع بحق لأصول الاسلام، في عقائده، وعباداته وشريعته واخلاقه، فهو قد شمل من العقيدة أعظم ركنيها: تعظيم الله وتوحيده، والايمان بالجزاء يوم القيامة (النجاة

---

(١) الجامع ص ١٨٥.

(٢) الجامع ص ١٨٩ ـ وأسند أقوى سنداً.

او الهلاك)، وقد شمل أعظم العبادات واركان الاسلام: الصلاة والزكاة والصوم، وأما الصبر فهو من امهات الفضائل والطاعات، اذ يرتبط بالعقيدة (عقيدة القدر)، ويرتبط بالعبادة (من حيث انها تكاليف لاتخلو من المشقة)، ويرتبط بالسلوك والأخلاق، لان التزام فعل الخير ومجانبته الشر من اثقل الامور على النفوس، ثم هو بعد ذلك جامع في قسمة الناس حول القرآن الكريم، وموقفهم من شرائعه واحكامه وآدابه، الى قسمين، وجامع في بيان خواتيم الاعمال وقسمة الناس في شأنها الى قسمين: ناج وهالك.

٥ ـ شرح الحديث:

أ) البيان اللغوي:

* **الطهور**: بضم الطاء: الفعل، أي التطهر من الحدث والخبث، قال النووي: ويجوز الفتح.
* **شطر الايمان**: ١) جزؤه، لان الايمان الكامل شامل للاعمال، اي انه عقيدة «تصديق» وعمل. ٢) وقيل شرطه: ان اريد بالايمان الصلاة، كما قد قيل. ٣) كالشطر بجامع توقف كمال الايمان عليه وعلى التصديق القلبي كما سبق[1]. ٤) نصف كما ورد في * الحمد لله تملأ الميزان: أي ان أجرها عظيم، وثوابها كبير لمن قالها مع استحضار معناها، والعمل بموجبه والاذعان له؛ وقال ابن رجب: قيل: انه ضرب مثل، وان المعنى: لو كان الحمد جسماً لملأ الميزان، وقال الشرنوبي: اي لو جُسِّم ثواب التلفظ بها مع استحضار معناها، وكذا يقال فيما بعدها[2].
* **او تملأ**: شك من الراوي في سماع اللفظ، اي تملأ هذه الجملة المشتملة على الحمد والتكبير . . .
* **الصلاة نور**: اي هي للمؤمنين في الدنيا نور في قلوبهم وبصائرهم، تشرق بها قلوبهم وبصائرهم، ولهذا كانت قرة عين الرسول ﷺ والمتقين من أمته، وهي ايضاً نور للمؤمنين في الاخرة في ظلمات القيامة وعلى الصراط، فان الانوار

---

(١) شرح الشرنوبي ص ٢٥. (٢) السابق ص ٢٥.

تقسم لهم على حسب اعمالهم، وقال الشرنوبي: سميت بذلك لما يفهم من حديث: بشر المشّائين في ظلم الليل الى المساجد بالنور التام يوم القيامة[1]. وذهب النووي الى انها شبهت بالنور لكونها تمنع من المعاصي، وتهدي الى الصواب، كما ان النور يستضاء به. اولأنها سبب لاشراق انوار المعارف وانشراح القلب، او تكون نوراً ظاهراً على وجهه يوم القيامة، وفي الدنيا يكون على وجهه البهاء[2].

* الصدقة برهان: حجة لصاحبها في أداء حق المال، او يفزع اليها كما يفزع الى البراهين، كأن العبد اذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله: كانت صدقاته براهين، في جواب هذا السؤال، أو يجوز ان المتصدق يوسم بسيماء يعرف بها، فيكون برهاناً له على حاله، او برهان على صدق ايمان فاعلها، واصل البرهان: الشعاع الذي يلي وجه الشمس، ومن ذلك حديث ابي موسى: ان روح المؤمن تخرج من جسده لها برهان كبرهان الشمس، ومنه سميت الحجة القاطعة برهاناً، لوضوح دلالتها على مادلت عليه[3].

* والصبر ضياء: الصبر في اللغة، الحبس، والمحمود منه أنواع: ١ ـ الصبر على الطاعة وعن المعصية ٢ ـ الصبر على الاقدار المؤلمة «أي المصائب والمكاره» والضياء: هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة واحراق، كضياء الشمس، بخلاف القمر فانه نور محض، بلا احراق، وشبه الصبر بالضياء لكونه شاقاً على النفوس يحتاج الى مجاهدة النفس وحبسها وكفها عما تهواه[4].

* حجة لك: ان تلوته وعملت به.

* حجة عليك: إن تلوته وخالفت اوامره، او لم تتله بالمرة وهجرته، او لم تؤمن به.

* كل الناس يغدو . . . / كل انسان يسعى بنفسه او لنفسه، فمنهم من يبيعها لله بالطاعة، فيعتقها بذلك من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعها، فيهلكها، بتعريضها لاستحقاق العذاب.

---

(١) شرح الاربعين ص ٢٦. (٢) شرح مسلم/ ج٣ ص ١٠١.
(٣) الجامع ص ١٩١، وشرح الشرنوبي ص ٢٦، وشرح مسلم السابق ص ١٠١.
(٤) جامع العلوم ص١٩١.

(ب) المعنى الاجمالي:

إن المؤمن الـذي يحرص على الفـوز والنجـاة يوم القيـامـة، هو الـذي يتحـرى الطهـارة من الاحـداث ومن امـراض البـاطن، ويكثـر من ذكر الله تعالى وتسبيحه وتنزيهه، ويحافظ على الصلاة، في اركانها واوقاتها وحقوقها كاملة، ويؤدي زكاة ماله طيبة بها نفسه، ويؤمن بالقدر، فلا يجزع عند حلول المصائب، ويتحلى بالصبر على طاعة الله، وعن معاصيه، ويتخذ من القرآن الكريم منهجاً لحياته، يتلوه حق تلاوته ويأخذ نفسه بأوامره وآدابه.

٦ ـ بعض مايرشد اليه الحديث:

* بيان فضل هذه الأذكار الاربعة: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله الا الله، والله اكـبر، وعظمـة ثواب قولهـا مع استحضـار معانيها والاذعان لذلك والعمل بموجبها.
* الحث على الاكثار من ذكر الله تعالى، وانه من افضل الطاعات والقربات، فإن من احب شيئاً اكثر من ذكره، ثم ان الاكثار من ذكر الله يحمي حمى التوحيد ويرغم أنف الشيطان
* كل انسان إما ساع في هلاك نفسه او في نجاتها، فمن سعى في طاعة الله فقد باع نفسـه لله واعتقهـا من عذابـه، ومن سعى في معصيـة الله، فقـد باع نفسه للهوى والشيطان واوبقها بالآثام الموجبة لغضب الله وعقابه.
* إن الأعمال توزن يوم القيامة، ومنها الثقيل والخفيف، والميزان واحد، وجمعه في القـرآن «فمن ثقلت موازينـه» باعتبـار الامـور المـوزونة، والكفار توزن اعمالهم، وقوله تعالى: فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ـ اي لايعتد به ولا ينفعهم[1].
* بيـان فضيلة الصـبر بمختلف انـواعـه، وان صاحبـه لايـزال مستمـراً على الحق مستضيئاً بنور الصبر.
* بيان فضل الانفاق في سبيل الله وفي وجوه الخير، وان ذلك من ادلة صدق الايمان.

---

(١) شرح الشرنوبي ص ٢٦.

* من لم يعمل بالقرآن، واكتفى بالتلاوة، كان حجة عليه، وسبباً لعذابه، ومن عمل به جاء يشفع له ويحاجج عنه يوم القيامة.
* النجاة يوم القيامة انما هي بالطاعة، وعمل الانسان هو الذي يكون سبباً لنجاته أو هلاكه، والحديث فيه رد على فرقة الجبرية الذين ينفون الكسب والاختيار، وان الانسان مسير ولا يملك لنفسه شيئاً.
* استحباب المبادرة الى فعل الخير.

٧ ـ بعض تطبيقات الحديث:

* قال ابن مسعود (رضي): الصبر نصف الايمان . . . وهذا الاستعمال مستنبط من الحديث، اي انه تطبيق لغوي على الحديث[١].
* قال ابو الدرداء (رضي): صلوا ركعتين في ظلم الليل، لظلمة القبور[٢].
* ولما فترت رابعة العدوية عن وردها بالليل مدة، أتاها آت في المنام، فأنشدها:

صلاتك نور والعباد رقود ونومك ضد للصلاة عنيدُ[٣]

* قال ﷺ: «من حافظ عليها (الصلاة) كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةيوم القيامة»[٤].

* قال ابن مسعود (رضي): «القرآن شافع مشفع وحامل مصدق، فمن جعله أمامه قاده الى الجنة، ومن جعله خلف ظهره قاده الى النار[٥].
* عنه ﷺ: «من قال؛ اذا أصبح: سبحان الله وبحمده الف مرة، فقد اشترى نفسه من الله، وكان من آخر يومه، عتيقاً من النار»[٦].
* قال ابن رجب رحمه الله: قد اشترى جماعة من السلف انفسهم من الله عز وجل بأموالهم، فمنهم من تصدق بماله، ومنهم من تصدق بوزنه فضة ثلاث مرات او اربعاً كخالد بن الطحاوي، ومنهم من كان يجتهد في الاعمال الصالحة، ويقول:

---

(١) الجامع ص ١٨٧. (٢) السابق ص١٩٠. (٣) السابق ص١٩٠. (٤) السابق ص١٩١.
(٥) اورد الشرنوبي هذا القول بلفظ «ماحل» بدل حامل، ثم فسر ذلك بقوله: وما حل: من المماحلة وهي المكايدة، فالقرآن يكيد من اتخذه وراء ظهره ص٢٦/ شرح الأربعين.
(٦) الجامع ص١٩٣.

انما انا أسير اسعى في فكاك رقبتي، منهم : عمرو بن عتبة، وكان بعضهم يسبح كل يوم اثني عشر الف تسبيحة بقدر ديته، كأنه قتل نفسه فهو يفتكها بديتها[1].

* قال الحسن البصري: المؤمن في الدنيا كالاسير يسعى في فكاك رقبته لايأمن شيئاً حتى يلقى الله عز وجل[2].

* وقال محمد بن الحنفية: إن الله عز وجل جعل الجنة ثمناً لأنفسكم فلا تبيعوها بغيرها[3].

* قال بعض السلف: ماجالس احد القرآن، فقام عنه، الا بأحد امرين، اما ان يربح او يخسر، مشيراً بذلك الى قوله تعالى: «ولايزيد الظالمين الا خساراً»[4].

* اختلف في اي الكلمتين أفضل؟ كلمة الحمد لله / ام كلمة لا إله الا الله، وقد حكى هذا الاختلاف ابن عبدالبر وغيره، وقال النخعي: كانوا يرون ان الحمد اكثر الكلام تضعيفاً، لان الحمد يتضمن اثبات جميع انواع الكمال لله، ومن ذلك التوحيد[5].

٨ ـ مناقشة حول الحديث:

س١) اذكر آية في معنى «كل الناس يغدو . . .»؟ جـ١) قوله تعالى «ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة . . . الاية»[6]، او آية: «اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى، فما ربحت تجارتهم . . . الآية»[7]، او ان الحديث مأخوذ من مجموع مافي الايتين، ويتصل هذا القول ايضا بالآيتين: «قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها»/الشمس.

س٢) أيهما افضل: التسبيح ام التحميد، ولماذا؟

جـ٢) التحميد، لانه اثبات المحامد كلها لله، فدخل فيه اثبات صفات الكمال كلها، بينما التسبيح تنزيه من صفات النقص، والاثبات اكمل من السلب، ولهذا لم يرد التسبيح مفرداً، بل مقترناً بما يدل على اثبات الكمال

---

(١) الجامع ص ١٩٣. (٢) السابق ص ١٩٣.

(٣) السابق ص١٩٤. (٤) الجامع ص ١٩٢. (٥) الجامع ص ١٩٠.

(٦) الآية ١١١/ من سورة التوبة. (٧) الآية ١٦ من سورة البقرة.

مثل: سبحان الله وبحمده او سبحان الله العظيم، وظاهر الحديث يدل على ذلك، اذ الحمد يملأ الميزان وقد ورد ان التسبيح نصف الميزان [1].

س٣) بين الصلاة والصبر والصدقة، صفة مشتركة، ماهي؟ جـ٣) هذه العبادات الثلاث انوار كلها، ووصفت بصفة ترجع الى النور، مع اختصاص كل منها بدرجة من درجات النور[2].

س٤) اشرح المراد من قوله (ص): كل الناس يغدو . . . الخ.

س٥) لماذا وصف الصبر بالضياء؟

س٦) وصفت التوراة بالضياء والنور، بينما وصف القرآن بالنور فقط، فماذا تفهم من ذلك؟

جـ٦) ان الغالب على شريعة موسى (٤) الضياء لما فيها من الاغلال والآصار بخلاف شريعتنا، فهي الحنفية السمحة «وهي المحجة البيضاء، ليلها كنهارها.

س٧) كيف يكون الطهور شطر الايمان؟

جـ٧) بالاضافة الى ماذكر في مبحث الشرح، فقد ذكر الغزالي ان المراد بالطهور طهارة القلب من الغل والحسد وغيرهما من امراض القلب، وذلك ان الايمان انما يتم بذلك، فمن أتى بالشهادتين حصل له الشطر ، ومن طهر قلبه من الامراض كمل ايمانه، وقال الشيخ الدهلوي: المراد بالايمان ههنا هيئة نفسانية مركبة من نور الطهارة والإخبات، ولا شك ان الطهور شطره، وان النظافة المؤثرة في جذور النفس، تقدس النفس وتلحقها بالملائكة، فجعلت خاصيتها خاصية للوضوء الذي هو مظنتها وعنوانها[3].

* وقد مال ابن رجب الى توجيه معنى كون الطهور شطر الايمان ، على النحو التالي: كل شيء كان تحته نوعان، فأحدهما نصف له، سواء كان عدد النوعين على السواء أو احدهما أزيد من الآخر، ويدل على ذلك حديث: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، والمراد: انها مقسومة للعبادة، والمسألة «الدعاء»، فالعبادة حق الرب، والمسألة حق العبد، وليس المراد قسمة كلماتها على السواء، وقد ذكر ذلك الخطابي . . . ومن ذلك حديث ابي هريرة في

(١) الجامع ص ١٨٩ . (٢) الجامع ص ١٩٠ . (٣) حجة الله البالغة ج١ ص٣٦٨.

الفرائض انها تصف العلم، من حيث ان احكام المكلفين نوعان، نوع يتعلق بالحياة، ونوع يتعلق بها بعد الموت، وهو الفرائض . . . فهكذا يقال في الوضوء: انه نصف الصلاة، وايضاً، فالصلاة تكفر الذنوب والخطايا بشرط اسباغ الوضوء، فصار شطر الصلاة بهذا الاعتبار أيضاً . . . وايضاً فالوضوء من خصال الايمان الخفية التي لايحافظ عليها الا مؤمن، قال ﷺ: «لايحافظ على الوضوء الا مؤمن»، ويحتمل ان يقال: خصال الايمان من الاعمال والاقوال كلها تطهر القلب، واما الطهارة بالماء فهي تختص بتطهير الجسد وتنظيفه، فصارت خصال الايمان قسمين، احدهما يطهر الظاهر والآخر يطهر الباطن، فهما نصفان بهذا الاعتبار، والله اعلم[1].

س٨) ايهما اعظم الصبر ام الصلاة، ولماذا؟ جـ٨) الصبر، لانه صبر عليها وعلى غيرها فهو اشمل واعظم، ولذا قدم عليها في قوله تعالى: «استعينوا بالصبر والصلاة»[2].

س٩) هل توزن اعمال الكفار يوم القيامة؟

س١٠) هل هناك ميزان واحد ام موازين يوم القيامة؟

س١١) متى يكون القرآن حجة على قارئه؟

س١٢) اذكر ما يدل على ان المراد بالطهور في الحديث: الوضوء.

جـ١٢) أ) ورود رواية بذلك ب) قوله ﷺ: «مفتاح الصلاة الطهور».

س١٣) اذكر بعض ماورد في فضل «لا اله الا الله»؟ جـ١٣) جاء في المسند «انه ﷺ قال: ان نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: آمرك بلااله الا الله، فان السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله الا الله في كفة رجحت بهن لا إله الا الله»[3].

س١٤) كيف يمكن ادخال الصيام في الحديث؟ جـ١٤) يعتبر الصيام افضل انواع الصبر، لانه يجمع انواعه كلها، لانه صبر على الطاعة، وعن المعاصي، وعلى الاقدار المؤلمة بما قد يحصل للصائم من الجوع والعطش[4].

---

(١) الجامع ص ١٨٨. (٢) الآية ١٥٣ من سورة البقرة. (٣) الجامع ص١٩٠.
(٤) الجامع ص ١٩٢.